

## تصوير الصليب على العملة الرومانية في القرن الرابع الميلادي

### د. محمود الفطاطري •

الصليب هو شعار الدين المسيحي، بالإضافة إلى أنه الأداة التي عذب بها السيد المسيح-عليه السلام- (١)، وللصليب أشكال عدة صور بها في الفن الروماني (٢) وربما جاء هذا التنوع في أشكال الصليب طبقاً للتأثيرات المتعددة التي تأثر بها الفن الروماني، ومنها تأثيرات محليه للولايات التابعة للإمبراطورية، واختلاف الفنانين من ولاية لأخرى، بالإضافة لاختلاف تعبيرهم عن تصورهم لشكل الصليب طبقاً للمفهوم الذي يعتقدونه.

شهد القرن الرابع الميلادي تحولا مهيبا في مسار الفن الروماني نتيجة لدخول الديانة المسيحية ضمن الديانات المعترف بها بالإمبراطورية، حيث بدأت الموضوعات الوثنية المصورة على الفنون الرومانية ومنها العملة، يظهر بجانبها رموز المسيحية إلى أن اختفت تدريجيا، وبدأت في الظهور موضوعات تعبر عن مفهوم الدين المسيحي، مستخدمة شعارات جديدة خاصة بها، إلا أن هذه الموضوعات ظهرت لتعبر عن مجد الإمبراطورية في ظل هذا الدين الجديد.

عندما أعترف الإمبراطور قنستنتين الكبير (٣) بالمسيحية " كدين شرعي " عام ٣١٣م شأنها في ذلك شأن العبادات المنتشرة آنذاك، من خلال مرسوم التسامح الذي أصدره والمعروف باسم "مرسوم ميلان" (٤)، حاول الفنانون من خلال الأعمال الفنية الصادرة في ذلك الوقت التعبير عن الدين المسيحي، فكانت الموضوعات المصورة على

\* د. محمود الفطاطري، مدرس الآثار اليونانية والرومانية بقسم الآثار، كلية الآداب-جامعة طنطا.  
(١) إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درة، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م، ص ص ٤٠٧-٤٠٨  
(٢) أشكال الصليب المتنوعة، أنظر:

Kamel, I.: *Coptic Funerary Stelae, Catalogue Général des Antiquités du Musée Copte Nos. 1-253, Le Caire 1987, pp.23-24, Figs. VI-VII*

(٣) حكم قنستنتين الكبير في الفترة فيما بين عامي ٣٠٧-٣٣٧م، وقام بإنشاء مدينة القسطنطينية كعاصمة جديدة للإمبراطورية الرومانية، وهو من أول الأباطرة الرومان الذين اعترفوا بالمسيحية كدين شرعي يمارس إلى جانب الديانات الأخرى، أنظر:

محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية ٢٠٠٠م، ص ص ٢١-٣٠  
(٤) إدوارد جيبون: المرجع السابق، ج ١، ص ص ٤٠٢-٤٠٧؛ رأفت عبد الحميد: الإمبراطورية البيزنطية: العقيدة والسياسة، ج ١، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ص ٤٠-٤١

؛ محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ص ٢٥-٢٨

العملة قد طرأ عليها بعض التغيير لتصبح ذات طابع أو صبغة مسيحية، ولكن التغيير جاء بطيئاً في بدايته، ولجئوا إلى الرمزية في بادئ الأمر.

ظهرت الرمزية كأسلوب فني في الفنون السابقة على الفن الروماني، وهي وسيلة تستخدم إما لتعريف الناس الأميين مفهوما يرتبط بحياتهم الدنيوية أو الدينية ولا يستطيعون معرفته عن طريق القراءة، أو كعلامات سرية لتجنب الاضطهاد، وربما استخدمت الرمزية على العملة التي تحمل رموزاً مسيحية، للتأكيد على أن الدين المسيحي هو الدين الرسمي للإمبراطورية في أواخر القرن الرابع الميلادي.

ظهرت رموز المسيحية على عملات أسرة قنسطنطين الكبير، واستمرت طوال القرن الرابع الميلادي إلا أنها توقفت في عهد جوليان المرتد (٣٦١-٣٦٤م) عن المسيحية الذي حارب الدين المسيحي وألغى التعامل برموزه<sup>(٥)</sup>، ثم ما لبثت أن عادت إلى الظهور بقوة في عهد الإمبراطور جوفيان، لتستمر بعد ذلك في الظهور على العملة الرومانية.

يعد ال Chi-Rho من أول الرموز التي ظهرت على العملة في عصر الإمبراطور قنسطنطين الكبير، عندما أمر جنوده بوضعه داخل إطار مربع على دروعهم قبل خوض معركة جسر ملفيوس عام ٣١٢م طبقاً لرؤيا رآها هذا الإمبراطور في منامه<sup>(٦)</sup>، ويرجح البعض أن ال chi-rho الذي ظهر مع بداية القرن الرابع الميلادي يعني الحرفان الأوليان لأسم السيد المسيح (χριστος)<sup>(٧)</sup>، بينما يرى البعض أنه يعني (كن في سلام (χαίρε ρει)<sup>(٨)</sup>)، والذي أصبح من ذلك الوقت راية للمسيحية وظهر

(٥) المؤلف نفسه، المرجع السابق، ص ص ٣١-٣٢

George, W.G.: *New Schaff-Herzog Encyclopedia of Religious Knowledge*, Vol. I, Michigan 1954, p. 258; Blockley, R.C. : "Constantius Gallus and Julian as Caesars of Constantius II", *Latomus* 21, 1972, pp.447ff.

(٦) يذكر أن قنسطنطين الكبير في معركة جسر ملفيوس على نهر التيبير عام ٣١٢م ضد مكسنتيوس قد رأى صليبا مشتعلا في السماء، ثم سمع صوتاً في منامه يأمره بأن يرسم جنوده علامة XP على دروعهم ليعرف هذا الشعار باسم اللاباروم ليقوى الإمبراطور النازع الديني في جنوده قبل خوض المعركة:

ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، المجلد السادس، ج ١١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م؛ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة، ج ٢، القاهرة ١٩٨٣، ص ص ٩٥-٩٩  
Eusebius: *The Conversion of Constantine*, chapter XXVIII, New York 1990, Vol I, pp. 489-91  
Bruun, P.: *The Christian Signs on the Coins of Constantine*, Arctos 1953, pp.19-29 (٧)  
;Eadie, J.W.: *The Conversion of Constantine*, New York 1971, pp.35ff

(٨) عزت قادوس ومحمد عبد الفتاح: الآثار والفنون القبطية، الإسكندرية ٢٠٠٠م، ص ص ٢٨٣-٢٨٤

على طرز عديدة من العملة، ولكن الملاحظ أن تصويره دائما ما كان يأتي على ظهر العملة الرومانية في القرن الرابع الميلادي.

يحاول الباحث من خلال هذه الدراسة الإجابة على عدة تساؤلات: هل الـ Chi-Rho صليب أم رمز للدين المسيحي؟ وهل أشتق الصليب المصور على ظهر العملات الرومانية منه؟ أم أن الصليب عرف قبل وجود الـ Chi-Rho؟ وما هي الأسباب التي كانت وراء استخدام الرمز في هذا القرن؟.

صور الـ Chi-Rho في بعض الأحيان كطراز مستقل على ظهر عملة قنسطنطين الكبير واقفا فوق ثعبان وربما يرمز ذلك لانتصار الخير على الشر أي المسيحية على الوثنية<sup>(٩)</sup> (صورة رقم ١)، وصور أيضا على شكل عصا طويلة يمسك بها الإمبراطور في زيه الحربى في نهايتها مربع بداخله صليب XP وتسمى لاباروم Labarum، والتي أصبحت راية الجيش الرومانى الذى يخوض المعارك تحت حماية المسيحية ابتداء من عهد قنسطنطين<sup>(١٠)</sup>.

تظهر هذه الراية في بعض عملات أسرة قنسطنطين الكبير بين جنديان بزيهما الحربى كرمز للفرقة التي حملت اسم اللاباروم<sup>(١١)</sup> (صورة رقم ٢)، كما استخدمت على عملات أبناء قنسطنطين الكبير، وخاصة قنسطنطين الثانى وقنسطانز وخلفائه من بعده ضمن طراز ظهر على العملة الرومانية يعرف باسم طراز راكب المركب<sup>(١٢)</sup> حيث يصور الإمبراطور واقفا فوق مركب ممسكا بتلك الراية، وتجلس خلفه نيكى

(٩) Haslam, W.M.: *The Cross and the Serpent: being a brief History of the Triumph of the Cross*, Oxford 1849, p.31 ff; Bruun, P. : *The Roman Imperial Coinage*, Vol. VII: Constantine and Licinius AD 313-337, London 1966, p.63; Burnett, A. : *Coinage in the Roman World*, London 1978, p.145; Vagi, L.: *Coinage and History of the Roman Empire*, Vol. 1, Ohio 1999, p. 482

(١٠) إدوارد جيبون: المرجع السابق، ص ص ٤٠٧-٤١٠؛ حسين عبد العزيز: *العملة الرومانية، الإسكندرية ١٩٩٧م*، ص ٥٣

Ferguson, G.: *Signs and Symbols in Christian Art*, Oxford University Press, 1961, p.35  
Robert, W.B. *Triumph as a Mode in Medieval Christian Art*, published Konsthistorisk Tidskrift, LIX, 4, 1990, p.228

(١١) Alfoldi, A.: *The conversion of Constantine and Pagan Rome*, Oxford 1948, p.39  
;Sear, David.R.: *Roman Coins and Their Values, 4th Revised Edition*, London 1988, p.63

(١٢) ظهر طراز راكب المركب لأول مرة في عملات الإمبراطور قنسطانز عندما رحل لحكم بريطانيا في شتاء عام ٣٤٢-٣٤٣م:

R.IC.: Kent, J.P.C.: *Roman Imperial Coinage*, 10 Vols, The family of Constantine I, Vol. 8, London 1981, pp. 35-36

مجنحة "فكتوريا" رمز النصر<sup>(١٣)</sup>، وقد ظهر هذا الطراز في عملات الإسكندرية وإنطاكية وروما وليون (صورة رقم ٣)<sup>(١٤)</sup>.

كما صور ال Chi-Rho كطراز مستقل بذاته على ظهر العملة محاطا على جانبه بحرفي A, ω في عصر الإمبراطور ماجننتيوس (٣٥٠-٣٥٣م)<sup>(١٥)</sup>، والحرفان يرمزان للبداية والنهاية، أى أن السيد المسيح هو البداية والنهاية لأى زمان ومكان (صورة رقم ٤)<sup>(١٦)</sup>.

كما ظهر تصوير جديد له على راية اللاباروم في عصر الإمبراطور جوفيان فوق رمز الكرة الأرضية، وتقوم نيكي بتتويجه بإكليل النصر (صورة رقم ٥).  
تعد الفترة التالية على حكم الإمبراطور جوفيان، فترة تحول في تصوير شكل ال Chi-Rho على العملة، حيث تم استبداله بشكل الصليب المعروف، وربما يرجع ذلك إلى بداية انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين الأولى في الغرب وعاصمتها روما والأخرى في الشرق وعاصمتها القسطنطينية، وما صاحبها من خطوات للاعتراف بالدين المسيحي كدين رسمي للإمبراطورية في أواخر عهد ثيودوسيوس الأول<sup>(١٧)</sup>.  
ولذلك نتتبع ظهور الصليب في ظل هذا الانقسام، وما السبب وراء ذلك؟.

(١٣) حسين عبد العزيز: المرجع السابق، ص ٦٢

Grant, M.: *Roman Imperial Money*, Edinburgh 1954, p.149

(١٤) يبدو أن هذا الطراز مأخوذ عن عملات قسطنطين الكبير، ولكن الفرق بينهما أن عملات قسطنطين لا يظهر بها المركب:

Alfoldi, A.: *Op. Cit.*, p.39; Carson, R., Hill, P., and Kent, J.: *Late Roman Bronze Coinage 324-498*. London: 1960, pp.30-31

(١٥) ولد ماجننتيوس عام ٣٠٣م، وخدم في وحدة بربرية في عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير، أعلن نفسه إمبراطورا عام ٣٥٠م، و بعد هزيمة من قسطنطينوس الثاني انتحر عام ٣٥٣م:

Franks, R.: "Ammianus Marcellinus and Zonaras on Late Roman Assassination plot", *Historia* 46, 1997, pp. 121-128

Bruun, P.: *Op. Cit.*, pp. 19-29; Sear, David R. *Ibid.*, p.63; Kamel, I.: *Ibid.*, p.17; George. W.G.: *Op. Cit.*, p.168

(١٧) كان قائدا للحامية الإمبراطورية للإمبراطور جوليان المرتد، وعند وفاة جوليان أعلنه الجيش إمبراطورا : George. W.G.: *Op. Cit.*, p.239

(١٨) ج.م.هسى: *العالم البيزنطي*، ترجمة، رأفت عبد الحميد، القاهرة ١٩٩٧م، ص ٨٠

Elsner, Jas.: *Imperial Rome and Christian Triumph*, Oxford University Press 1998, p.20

ظل تصوير Chi-Rho على عملات فالينتينيان الأول (٣٦٤-٣٧٥م) الذي حكم النصف الغربي من الإمبراطورية<sup>(١٩)</sup>، بنفس تصويره على عملات الإمبراطور جوفيان السابق ذكرها، ويظهر لأول مرة تصوير للإمبراطور يمسك برأس أحد الأسرى بيده اليمنى، ويقبض بيده اليسرى على راية اللاباروم بداخلها Chi-Rho (صورة رقم ٦)، وكما ظهر تصوير جديد في عصر هذا الإمبراطور فيرى رمز النصر نيكي مجنحة جالسة وممسكة بيديها على شعار ال VOT<sup>(٢٠)</sup> ووضع أسفل الشعار ال-Chi-Rho مستقلا (صورة رقم ٧).

كما استمر في عصر هذا الإمبراطور التصوير الذي عرف في عصر سلفه الإمبراطور جوفيان، والذي يصور الإمبراطور على ظهر العملة ممسكا بنيكي المجنحة ربة النصر وفوق رمز الكرة الأرضية حيث تقوم نيكي رمز النصر بتتويجه بإكليل النصر، ولكن الاختلاف الذي حدث في هذا التصوير يعد بمثابة نقطة تحول في تصوير شكل الصليب على العملة، حيث ظهر أسفل الجانب الأيسر للإمبراطور تصويرا لشكل الصليب بدلا من رمز ال-Chi-Rho، وأستبدل ال-Chi-Rho داخل راية اللاباروم بالصليب (صورة رقم ٨).

كما يلاحظ تغيرا أيضا يجب الوقوف عنده في شكل الأشخاص المصورة على ظهر عملات هذا الإمبراطور، حيث يظهر طراز جديد يجمع بين الأخوين فالينتينيان الأول وفالينس الأول ٣٦٤-٣٧٨م<sup>(٢١)</sup>، وهما يجلسان بجانب بعضهما البعض على كرسيي الحكم، بيد أن تصويرهما جاء في شكل القديسين تحيط برأسيهما هالة، ويمسك كل منهما بيده اليسرى على صولجان الحكم الذي يتخذ شكل الصليب المرصع بالجواهر (صورة رقم ٩).

يمكن ملاحظة أحد التغيرات التي طرأت في شكل ال-Chi-Rho في عصر الإمبراطور فالينس الأول، حيث بدأ الأمر بتحول شكل ال-Chi-Rho المستقلة بالجانب

(١٩) نادى به الجيش إمبراطورا بعد وفاة جوفيان، حيث أشرك أخاه فالينس في حكم النصف الشرقي للإمبراطورية، أنظر:

محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ٣٣

(٢٠) ظهر شعار ال VOT منذ عصر قنسطنطين الكبير ويعنى النذر، كما يشير إلى الحماية التي ينعم بها الإمبراطور وشعبه خلال فترة حكمه:

Sear, David R.: *Op.Cit.*,p.70

(٢١) كان معتقًا للمذهب الأريوسي مما أدى إلى كرهه الناس له، وكذلك إلى هزيمته في معركة أدرنه عام ٣٧٨م وإقتله، لتظهر أسرة جديدة على العرش وهي أسرة ثيودوسيوس:

George. W.G.:*Op.Cit.*, Vol XII,p.127

الأيسر من شكله المعتاد  $\rho$  ليستقيم حرف  $\chi$  ليصبح بهذا الشكل P، أو ليصبح ما يمكن أن يسمى برمز Rho، بينما أستبدل ال Chi-Rho الموجود داخل راية اللاباروم بالكامل بشكل الصليب (صورة رقم ١٠)، وبلى ذلك تغيراً آخر في ال Chi-Rho حيث تم حذف ال P ليصبح بهذا الشكل X، أو ليصبح ما يمكن أن يسمى برمز ال Chi، وعلى جانب الإمبراطور صور الصليب بشكل مستقل تماماً (صورة رقم ١١).

كما حدث تغيراً في طراز العملات المصور على ظهرها رمز النصر نيكي الجالسة وهي ممسكة بشعار ال-VOT، حيث استبدل ال Chi-Rho الذي يظهر أسفل الشعار بالصليب (صورة رقم ١٢)، ويلاحظ أيضاً على عملات هذا الإمبراطور تغيراً في مكان ظهور ال Chi-Rho، الذي يأتي متوسطاً لأسم دار السك (صورة رقم ١٣). كما تغير موضع ال Chi-Rho باللاباروم في عصر الإمبراطور بروكوبيوس (٣٦٥-٣٦٦م)، لتوضع نجمة داخل المربع بدلاً من ال Chi-Rho الذي وضع بشكل مستقل خارج المربع في مواجهة رأس الإمبراطور بين حروف عبارة REPARATIO FEL TEMP والتي تعني "عودة الأيام السعيدة" (٢٢) (صورة رقم ١٤)، وحل الصليب بدلاً من ال Chi-Rho ويختلف الطراز في هذه الحالة، فيظهر الإمبراطور واقفاً في زيه الحربي ممسكاً براية اللاباروم بيده اليمنى، بينما يستند بيده اليسرى على درعه الحربي (صورة رقم ١٥).

لم يطرأ أي تغير على تصوير ال Chi-Rho في عصر الإمبراطور جراتيان (٣٦٧-٣٨٣م) (٢٣)، حيث أعادته عملات هذا الإمبراطور على ظهر العملة، ولكن بنفس الطرز القديمة التي ظهرت في عصر الإمبراطور فالينس الأول، حيث صور الإمبراطور ممسكاً بيده اليمنى بأسير راعع على الأرض وبيده اليسرى راية اللاباروم وضع بداخلها ال Chi-Rho (٢٤).

(٢٢) ظهرت هذه العبارة التذكارية في عملات الأباطرة قنسطانز وقنسطنطيوس الثاني وماجنيتوس بهذا الاختصار FEL TEMP REPARATIO وهي اختصار للعبارة اللاتينية REPARATIO FLIX TEMPORUM، والتي تعني "الأيام السعيدة عادت ثانية"، إلا أنها جاءت في عملة بروكوبيوس بوضع معكوس، والمقصود بها إعادة حكم الأملاك السابقة وعظمة الإمبراطورية الرومانية عندما كانت تحكم العالم القديم كله:

Kraft, K.: "Die Taten der Kaiser Constans und Constantius II", JNG 1958, pp. 141-186;

Kent, J.P.C. : "Fel. Temp. Reparatio", Numismatic Chronicle 1967, pp.83-90

(٢٣) أبين الإمبراطور فالينتيان الأول وزوجته سيفيرا، قتل على يد جيشه عام ٣٨٣م:

Ibid., Vol. V, p.45

R.I.C: Op. Cit., Vol.9, Valentinian I to Theodosius I, 364-395, London 1993, no.14c (٢٤)

كما صور مستقلا على ظهر العملات ذات الطراز الذي يصور نيكي جالسة وهي ممسكة بشعار الـ VOT<sup>(٢٥)</sup>، وأستمر ظهوره على عملات أخرى متوسطا لأسم دار السك أسفل شعار الـ VOT<sup>(٢٦)</sup>.

بينما يظهر تصوير الصليب مستقلا على ظهر عملات هذا الإمبراطور بجوار امرأة تجسد روما عاصمة الإمبراطورية<sup>(٢٧)</sup>، وهي جالسة على العرش تسمك بيدها اليمنى بالكرة الأرضية وبيدها اليسرى برمح طرفه الحاد لأسفل (صورة رقم ١٦) ويستنتج من ذلك أن معظم عملات هذا الإمبراطور جاءت لتحاكي عملات أسلافه ولم تضاف جديدا على تصوير الصليب.

جاء عصر فالينتينيان الثاني ٣٧٥-٣٩٢م<sup>(٢٨)</sup> ليحل رمز الـ Rho محل الـ Chi-Rho، ولتغيير موضع الـ Rho أيضا، ليوضع فوق بوابات المعسكرات الرومانية الحربية التابعة للإمبراطورية (صورة رقم ١٧)، وكما ظهر تكرار لطراز عرف من قبل في عصر الإمبراطور فالينيس الأول بيد أنه يختلف عما سبقه في أن الإمبراطور يطىء بقدمه اليسرى أحد الأسرى الذي يرقد على الأرض أمامه مستعظفا إياه<sup>(٢٩)</sup>، ويلاحظ في تصوير هذا الطراز أن راية اللاباروم يظهر بداخلها الـ Rho.

يبدأ الصليب في الظهور بشكل أكبر بدلا من الـ Rho على ظهر العملة بمجيء عصر الإمبراطور ثيودوسيوس الأول ٣٧٨-٣٩٥م<sup>(٣٠)</sup>، حيث يظهر طراز للعملة يصور رمز النصر نيكي بمفردها ممسكة بيدها اليسرى بإكليل النصر بينما تقبض بيدها اليمنى على الكرة الأرضية يعلوها الصليب (صورة رقم ١٨).

كما يظهر تصوير الإمبراطور ممسكا براية اللاباروم بيده اليسرى، بينما يقبض بيده اليمنى على الكرة الأرضية، ويحاط الإمبراطور من على جانبيه بالصليب

(٢٥) أبين الإمبراطور فالينتينيان الأول وزوجته جستينا، ومات مشنوقا عام ٣٩٢م

R.I.C.: *Ibid.*, no.21b

R.I.C.: *Ibid.*, no.36e

(٢٦)

(٢٧) حسين عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٥٤، صورة رقم ٩٠

George. W.G.: *Op. Cit.*, Vol. XII, p.129

(٢٨)

R.I.C.: *Op. Cit.*, no.83a

(٢٩)

(٣٠) أسباني الأصل، وأنزل بالوثنيين قرارا الحرمان من حق المواطنة وفي عام ٣٨١م عقد مجمع

القسطنطينية الديني الذي فرض من خلاله الوحدة الدينية المسيحية بالقوة، وبموته انفصل

الشرق عن الغرب إلى الأبد، أنظر:

محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ٣٧

(صورة رقم ١٩)، ويلاحظ أن هذا هو أول تصوير مزدوج لصليبين مستقلين على ظهر العملة.

بيد أنه هناك حالات قليلة يظهر فيها الRho، فيعود تصوير الإمبراطور ممسكا برأس أحد الأسرى، بيد أن الاختلاف في هذا المنظر عما سبقه من عملات لأسلافه يتضح في وضع الأسير، حيث يظهر الأسير هنا على الجانب الأيمن للمنظر بينما في العملات السابقة يأتي دائما على الجانب الأيسر، وربما في هذا إشارة إلى سيطرة الإمبراطور على الجانب الأيمن من الإمبراطورية والمعنى بها الجزء الشرقي من الإمبراطورية، وتختفى راية اللاباروم في هذا المنظر (صورة رقم ٢٠)، ويظهر تصوير مماثل لهذا المنظر، إلا أنه تم تصوير الصليب بدلا من الRho (صورة رقم ٢١).

يستمر طراز نيكي المصورة بمفردها على ظهر والممسكة بالكرة الأرضية يعلوها الصليب على ظهر عملة الإمبراطور أركاديوس (٣٨٣-٤٠٨م) (٣١)، بيد أن الاختلاف في هذا الطراز يأتي في وضع نيكي، حيث تأتي تارة متجهة بوجهها وجسدها جهة اليسار (صورة رقم ٢٢)، وتارة أخرى تأتي جهة اليمين (٣٢).

ويظهر كذلك الطراز الذي يصور الإمبراطور والأسير، إلا أنه يختلف عن سابقه في أن الإمبراطور يمسك باللاباروم بيده اليمنى والكرة الأرضية بيده اليسرى ويطيء بقدمه الأسير، بينما يظهر صليب مستقلا بالجانب الأيسر (صورة رقم ٢٣).

يلاحظ أنه بمجيء عصر الإمبراطور أركاديوس (٣٣)، يستقر تصوير الصليب تماما على العملة الرومانية ويختفى تصوير الChi-Rho أو مشتقاته من على ظهر العملة الرومانية، فعلى بعض العملات ذات طراز الإمبراطور والأسير استبدل الChi-Rho بنجمة داخل راية اللاباروم، ويظهر الصليب مستقلا بالجانب الأيسر (٣٤).

(٣١) الإمبراطور أركاديوس ولد عام ٣٧٧-٣٧٨م وتوفي عام ٤٠٨م، ولقب بلقب أغسطس عام ٣٨٣م، وأصبح قنصلا على القسطنطينية عام ٣٨٥م، ثم حاكما على شرق الإمبراطورية عام ٣٩٥م بعد وفاة والده ثيودوسيوس الأول:

Bury, J.B.: *History of the later Roman Empire: from the death of Theodosius I to the death of Justinian* (A.D.395 to A.D.565), Vol. 1, London 1931, p.106, note. 1

R.I.C.: *Op. Cit.*, no.19x

(٣٢)

(٣٣) بعد وفاة والده ثيودوسيوس الأول، تولى حكم الجزء الشرقي للإمبراطورية:

George. W.G.: *Op. Cit.*, Vol. I, p.257

R.I.C.: *Op. cit.*, Vol. 10, *The Divided Empire and the Fall of the Western Part, 395-491*: (٣٤)

تشهد عملات هذا الإمبراطور تحولا خطيرا في تصوير الصليب حيث يظهر لأول مرة تصوير الصليب كطراز مستقل على ظهر العملة، ليصبح الصليب هو الموضوع المصور بأكمله دون الحاجة لإدخاله ضمن الطرز السابقة الذكر (صورة رقم ٢٤).

كما شهدت عملات عصر الإمبراطور هونوريوس ٣٩٥-٤٢٣م (٣°) نفس التغيرات التي حدثت في عهد شقيقه أركاديوس، حيث اختفى تماما تصوير ال Chi-Rho وحل محله تصوير الصليب، إما داخل الطرز السابقة للظهور كطراز نيكي المجنحة التي تحمل الكرة الأرضية التي يعلوها الصليب أو كطراز مستقل تماما على ظهر العملة (صورة رقم ٢٥).

كما يظهر لأول مرة على وجه العملة في عملات هذا الإمبراطور تصويرا للصليب حيث يرى الصليب مصورا على صدر الإمبراطور المرتدى لزيه الحربى وممسكا بالحربة والدرع (صورة رقم ٢٦).

يلاحظ مما سبق أن ال Chi-Rho ومشتقاته، يوجد بأماكن متعددة على ظهر عملة القرن الرابع ولم يظهر أبدا على وجه العملة، وربما كان السبب في ذلك أن ظهر العملة هي التي تحمل الموضوع الرئيسى المراد تعريفه للناس في كافة أرجاء الإمبراطورية، أما وجه العملة فهو دائما يحمل صورة الإمبراطور هو بالطبع شخصية معروفة لدى العامة، ويمكن حصر الأماكن التي ظهر بها هذا على النحو التالى:

- ١- في عصر قنسطنطين الأول ظهر مصورا فوق راية الجيش الرومانى المنغمسة في ظهر ثعبان كرمز لانتصار الخير على الشر أو انتصار الدين المسيحى على الوثنية وربما كان ذلك تقليدا للفنون السابقة (٣٦).
- ٢- صور داخل راية اللاباروم لإحدى الفرق العسكرية الرومانية، حيث ظهرت هذه الراية في أوضاع متعددة على النحو التالى:

---

Honorius and Arcadius to Romulus Augustus, London 1994.,no.83b

(٣٥) ولد الإمبراطور هونوريوس عام ٣٨٤ شقيقا للإمبراطور أركاديوس، وحمل لقب أغسطس عام

٣٩٣م، وإمبراطورا منفردا على غرب الإمبراطورية عام ٣٩٥م أنظر: Bury,J.B., *Ibidem*.

(٣٦) ظهر في الفنون السابقة تصويرا مشابها مثل الفن المصرى القديم الذى يصور حورس وهو

يغمس حريته في ظهر ست الممثل في هيئة الثعبان، دليلا لانتصار الخير على الشر، أنظر:

Davis,N.:*The Temple of Hibis in El-Khargah Oasis, part III:The Decoration, edit*

by:Bull,L.&Hall,L.S., New York 1953,p.22,pls. 42-43

(أ) - عصر أبناء قنسطنطين الأول وخاصة ولديه قنسطنطين الثاني وقنسطانز، يظهر قائد روماني أو أكثر في زيهم الحربى حاملى هذه الراية كتعبير عن أن الفرق العسكرية تحارب تحت راية الدين المسيحى.

(ب) - نفس الفترة الزمنية وخاصة على عملات قنسطانز، يصور الإمبراطور فى زيه الحربى فوق ظهر مركب حاملا راية اللاباروم ومن خلفه تجلس نيكى رمز النصر وربما يكون فى ذلك تعبير على أن الإمبراطور يتجه لأرض جديده يفتحها تحت لواء الدين المسيحى بمصاحبة رمز النصر.

(ج) - عصر جوفيان، يصور ال Chi-Rho داخل راية اللاباروم يحملها الإمبراطور فى إحدى يديه بينما يقبض بيده الأخرى على رمز الكرة الأرضية يعلوها رمز النصر نيكى التى تكلم الإمبراطور بإكليل النصر، وربما يدل ذلك على أن الإمبراطور قد نجح بالفعل فى إخضاع كافة أرجاء الإمبراطورية تحت راية الدين المسيحى، وفى ذلك إشارة إلى انتصار راية المسيحية فى الحروب، وذبوع الدين المسيحى فى أرجاء الإمبراطورية التى ترمز لها الكرة الأرضية التى تعلوها نيكى رمز النصر.

(د) - عصر فالينتيان الأول، يصور ال Chi-Rho داخل راية اللاباروم التى يحملها الإمبراطور بإحدى يديه، بينما يقبض بيده الأخرى على رأس أسير يدها مكبلتان خلف ظهره، وكما ظهر تصويرا جديدا فى عصر هذا الإمبراطور، فىرى رمز النصر نيكى مجنحة جالسة وممسكة بيديها على شعار ال VOT، ووضع أسفل الشعار ال Chi-Rho مستقلا، وربما يدل ذلك على انتصار الإمبراطور على أعدائه تحت حماية راية الدين المسيحى، وبما أن هذا الشعار يعبر عن مرور فترة زمنية لحكم الإمبراطور، فهذا يعنى أن حكم الإمبراطور مكللا بالانتصارات التى تحميها رمز المسيحية الممثل فى ال Chi-Rho.

٣- عصر ماجنتيوس، يصور ال Chi-Rho منفردا بين حرفى  $A, \omega$  ، ربما ليعبر عن أن الدين المسيحى هو البداية والنهاية لأى زمان ومكان، وربما كان فى هذا إشارة إلى أن المسيحية دين جاء لكافة الناس على اختلاف أجناسهم وألسنتهم فى كل زمان ومكان.

٤- عصر فالينس الأول، صور منفردا أسفل شعار ال VOT التى تحمله بيديها رمز النصر نيكى، وربما يشير ذلك أن عصر الإمبراطور كان مكللا بالنصر فى ظل وجود رمز الدين المسيحى.

٥- نفس الفترة الزمنية، صور بين اسم دار السك، وربما يعنى ذلك أن المدينة بأكملها تعمل وتدين بتعاليم الدين المسيحى.

٦- عصر بروكيبوس، صور على ظهر العملة بين حروف عبارة REPARATIO FEL TEMP والتي تعنى "عودة الأيام السعيدة"، ربما يشير ذلك إلى أن في عصر هذا الإمبراطور عاد مجد الإمبراطورية في ظل حماية رمز المسيحية .

٧- عصر فالنتينيان الثانى، صور الRho فوق بوابة المعسكر الرومانى، وربما كان فى هذا إشارة إلى أن الجنود الموجودين بهذا المعسكر يحاربون تحت لواء أو راية الدين المسيحى، أو أن هذا المعسكر بأكمله يعمل فى ظل قوانين الدين المسيحى.

يستنتج مما سبق أن الChi-Rho ومشتقاته فى كافة أماكنه التى ظهر بها أما مفردا أو داخل راية اللاباروم، يشير إلى أن من يحمل هذا الرمز يدين بالدين المسيحى، كما أنه يرمز إلى حماية الإمبراطور والإمبراطورية، فهو يظهر داخل راية الجيش لحمايته من خطر الأعداء والحصول على النصر، أو بين اسم دار السك لحماية المدينة، أو بين اسم الإمبراطور لحمايته، أو أسفل شعار الVOT لحماية حكمه أو فوق بوابة المعسكر الرومانى لحماية من أخطار الأعداء.

ظهر أيضا الصليب بأماكن متعددة على ظهر العملة الصادرة خلال القرن الرابع الميلادى، ولم يظهر على وجه العملة إلا فى نهاية هذا القرن على عملة هونوريوس عام ٣٩٥م، ويمكن حصر الأماكن التى ظهر بها هذا الصليب على النحو التالى:

١-عصر فالنتينيان الأول، داخل راية اللاباروم التى يحملها الإمبراطور بيده اليمنى وإلى الجانب الأيمن من الإمبراطور الذى يحمل بيده اليسرى رمز الكرة الأرضية تعلوها نيكى التى تكلمه بإكليل النصر، وربما يعنى ذلك انتصارا للإمبراطورية على أعدائها تحت لواء المسيحية .

٢-نفس الفترة الزمنية، صولجان الحكم فى اليد اليسرى للإمبراطور يأخذ شكل الصليب المرصع بالجواهر، وربما يعنى ذلك أن الإمبراطور قد أصبح يحكم وفق تعاليم المسيحية المتمثلة فى الصولجان الذى يتخذ شكل الصليب، وظهر هذا التصوير على العملات التى سكّت فى القسطنطينية مقر حكم الإمبراطورية الرومانية فى الشرق، وربما يعد فى هذا إشارة أيضا أن الإمبراطور قد أصبح راعيا للدين المسيحى.

٣- عصر فالينس الأول، صور الصليب منفردا أسفل شعار ال VOT التي تحمله بيديها رمز النصر نيكي، وربما يشير ذلك أن عصر الإمبراطور كان مكللا بالنصر في ظل وجود الصليب شعار المسيحية الأول.

٤- عصر بروكيبوس، داخل راية اللاباروم التي يحملها الإمبراطور، وفي ذلك إشارة إلى انتصار راية المسيحية في الحروب

٥- عصر جراتيان، يصور الصليب على الجانب الأيمن من كرسى العرش التي تعنليه امرأة تجسد روما عاصمة الإمبراطورية، وربما في لك إشارة إلى انتشار المسيحية في عاصمة الإمبراطورية.

٦- عصر ثيودوسيوس الأول، يصور الصليب فوق رمز الكرة الأرضية التي تحملها ربة النصر بإحدى يديها، بينما تحمل بيدها الأخرى إكليل النصر، ويظهر هذا التصوير كذلك في عصر أركاديوس، وربما في لك إشارة إلى انتشار المسيحية في كافة أرجاء الإمبراطورية.

٧- نفس الفترة الزمنية، يظهر تصوير مزدوج للصليب على جانبي الإمبراطور وربما يعنى ذلك أن الإمبراطور قد جاء بالنصر، ووجد الإمبراطورية تحت عناية الصليب، أو وربما يعنى حماية للإمبراطورية في شرقها وغربها.

٨- نفس الفترة الزمنية، يصور الصليب على الجانب الأيسر للإمبراطور الممسك برأس أسير، وربما في هذا إشارة إلى سيطرة الإمبراطور على الجانب الأيسر من الإمبراطورية والمعنى بها الجزء الغربى من الإمبراطورية في ظل حماية المسيحية.

٩- عصر أركاديوس، يصور الصليب على الجانب الأيسر لإمبراطور يحمل راية اللاباروم بإحدى يديه بينما يحمل رمز الكرة الأرضية باليد الأخرى، ويطىء بقدمه اليسرى أسيرا، إشارة على سيطرة الإمبراطور على أعدائه في ظل حماية الصليب.

١٠- نفس الفترة الزمنية، يصور الصليب لأول مرة منفردا على ظهر العملة ليشكل الموضوع المصور على ظهر العملة، ويستمر هذا التصوير في عصر هونوريوس وربما في هذا إشارة إلى التحول الكامل للإمبراطورية للتعامل الاقتصادى من خلال تعاليم الدين المسيحى.

١١- عصر هونوريوس، يصور الصليب لأول مرة على وجه العملة، حيث صور على صدر الإمبراطور المرتدى للزى الحربى، وربما فى هذا تأكيد على أن الإمبراطور يدين بالدين المسيحى الذى يحمل شعاره فوق صدره الممثل فى الصليب.

يستنتج مما سبق أن الصليب فى كافة أماكنه التى ظهر بها أما مفردا أو داخل راية اللاباروم يشير إلى أن هذا الصليب يرمز أيضا لنفس المعنى الذى رمز إليه الـ Chi-Rho، إلا أنه فى عصر أركاديوس وهونوريوس يشير وبشكل قاطع عن أن العملات الصادرة من الإمبراطورية هى عملات مسيحية خالصة، وتختلف بشكل تام عن العملات التى صدرت سابقا، والتى تجمع بين الوثنية ورمز المسيحية.

يلاحظ مما سبق أن تصوير الصليب على العملات الصادرة عن الإمبراطورية فى القرن الرابع الميلادى أتبع مرحلتان رئيسيتان، الأولى فى هيئة الـ Chi-Rho و مشتقاته، والثانية بشكل الصليب، حيث ظهر الـ Chi-Rho بشكله المعروف على طرز العملة فى الفترة منذ عصر قنسطنطين الكبير وحتى بداية عصر فالينتيان الأول، ثم تحور حرف الـ  $\chi$  ليصبح على هيئة صليب أعلاه الـ P فى عصر فالينس الأول، واستمر العمل بهذا الشكل الجديد حتى نهاية عصر فالينتيان الثانى، أى أن صليب الـ Chi-Rho ومشتقاته ظهرت فى الفترة منذ عام ٣١٢ حتى عام ٣٩٢م أى ما يقرب من ثمانين عاما.

بينما صاحب ظهور الـ Rho وجود الصليب على العملة فى النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى، منذ عصر فالينتيان الأول وأخيه فالينس الأول أى منذ عام ٣٦٤م، وأصبح الصليب يصور بمفرده بدلا من رمز الـ Chi-Rho ومشتقاته فى نهاية عصر ثيودوسيوس الأول بين عامى ٣٩٠-٣٩٥م، وفى عهد أركاديوس وهونوريوس ظهر الصليب كطراز مستقل على العملة.

بذلك يعد أول ظهور للصليب فى شكله الكامل على العملة الرومانية قد بدأ فى النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى، وربما كان وراء هذا الظهور مدلول لبداية انتشار المسيحية بشكل قوى فى أرجاء الإمبراطورية، وانخراط الأباطرة فى الديانة الجديدة وبدء العمل بتعاليم الدين الجديد.

المتتبع لتطور تصوير الصليب على العملة يعتقد أن التطور من شكل الـ chi-rho إلى شكل الصليب تطورا فنيا طبيعيا، إلا أن الأحداث السياسية فى القرن الرابع الميلادى توضح غير ذلك، حيث أن هذا التطور لم يأتى طبيعيا نتيجة لاهتمام الفنانين بتطوير شكل الصليب، ولكنه جاء نتيجة أن الدين المسيحى أحتاج لفترة زمنية منذ أن تولى قنسطنطين الكبير عرش الإمبراطورية وحتى عصر ثيودوسيوس الأول

لكي يعترف به كدين رسمي، بدلا من كونه دين شرعى فقط إلى جانب الديانات الوثنية الأخرى التي كانت طقوسها تؤدي داخل أرجاء الإمبراطورية.

والإشارات القليلة للصليب في الفترة التي سبقت عصر ثيودوسيوس الأول والمتمثلة في الفترة الواقعة بين عصر فالنتينيان الأول وفالنتينيان الثاني، إنما مردها إلى بداية الانتشار القوي للدين المسيحي، إلا أن ظهور الصليب إلى جانب الرموز الوثنية يشير إلى عدم استخدام الصليب بشكل قاطع في هذه الفترة.

ربما كان اللجوء في بادئ الأمر إلى شكل الchi-rho مرده إلى أن قنسطنطين عمد إلى الخدع السياسية لتحقيق أهدافه وتثبيت أركان حكمه فنجح للتأثير على روح المقاتلين، ولم يكن هناك تأثير أقوى في النفس يضارع التأثير الدينى من خلال الرؤيا التي رآها وروج لها بين صفوف جنده في شكل حرفى اسم سيد المسيح باللغة اليونانية  $\chi\rho$ ، والمعروف أن قنسطنطين الكبير لم يكن ملما باللغة اليونانية فكيف إذا تكون رؤياه بلغة لا يعرفها إلا أن يكون ذلك مرده سياسيا، والدليل على ذلك أن خطابه في مجمع نيقية عام ٣٢٥م كان باللغة اللاتينية بينما كان الشرق وأساقفته يتحدثون باليونانية<sup>(٣٧)</sup>، إلا أنه كان بحاجة إلى توطيد حكمه في "روما الجديدة" التي عرفت "القسطنطينية" فيما بعد<sup>(٣٨)</sup>، حيث كان النصف الشرقى للإمبراطورية يتحدثون ويتعاملون باليونانية.

بيد أن العهد الذى تلى حكم "جوفيان" بدأ يتضح فيه تدريجيا التحول إلى شكل الصليب، إلى أن استقر في شكله التام مع الاعتراف بالدين الجديد "دين رسمى" للبلاد فى عهد ثيودوسيوس الأول، حيث تم التحول عن الرمزية إلى شكل الصليب الذى عرف منذ عهد قنسطنطين الأول، فقد عرف شكل الصليب الفعلى عندما قامت والددة الإمبراطور قنسطنطين "هيلانه" بالعثور على الصليب الذى صلب عليه السيد المسيح<sup>(٣٩)</sup>، إلا أن التعامل الطبيعى مع رمز المسيحية الأول -الصليب- لم يظهر فى ظل الاعتراف الشرعى، ولكنه ظهر واستقر فى ظل الاعتراف الرسمى بالدين المسيحى.

(٣٧) حسين كفافى: المسيحية والإسلام فى مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١،

ص ص ٧٧-٧٨، ج.م.هسى، المرجع السابق، ص ٣؛ إدوارد جيبون، المرجع

السابق، ج ١، ص ص ٣٤٥-٣٥٦

(٣٨) المؤلف نفسه، المرجع السابق، ص ص ٧٣-٧٤

(٣٩) رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص ٦٣

مما يبرهن على أن الـ Chi-Rho لا يعدو أكثر من كونه رمزا للمسيحية هو وجود هذا الرمز بشكل مستقل داخل دائرة تعلو الصليب على جدار تابوت، مؤرخ بمنتصف القرن الرابع الميلادي ومحفوظ بمتحف Pio-Christiano بالفاتيكان، بينما يرى الصليب بهيئته الكاملة بالجانب الأيسر من التابوت<sup>(٤٠)</sup> (صورة رقم ٢٧).

لذا يمكن القول بأن الـ Chi-Rho ومشتقاته ما هو إلا رمز للديانة المسيحية وليس صليبا في حقيقته، ظل مستخدما لفترة قصيرة على العملة حتى منتصف القرن الرابع الميلادي بجانب الرموز الوثنية الأخرى<sup>(٤١)</sup>، ويعد مقدمة فنية لاستخدام الصليب على العملة وليس تطورا، ومع ازدياد أعداد معتنقي الديانة المسيحية، بدأ الصليب يظهر على بعض العملات إلى جانب عملات أخرى تحمل رمز الـ Chi-Rho أو مشتقاته، إلا أن الاعتراف بالديانة المسيحية كدين رسمي للإمبراطورية سمح للفنان باستخدام شعار المسيحية الأول وهو الصليب على ظهر العملة كطراز مستقل منذ نهاية القرن الرابع الميلادي.

(٤٠) Huyghe, R.: *Art and Mankind: Larousse Encyclopedia of Byzantine and Medieval Art*, Hamlyn publishing group, London 1963, p.30, fig.46

(٤١) حسين عبد العزيز: المرجع السابق، ص ٥٢



صورة رقم (١)  
عملة لقسطنطين الكبير، RIC 8, No. 19



صورة رقم (٢)  
عملة لقسطنانز، RIC 8, No. 88



صورة رقم (٣)  
عملة لقسطنانز، RIC 8, No. 198





صورة رقم (٧)  
عملة لفالينتيان الأول RIC 9, No. 22b



صورة رقم (٨)  
عملة لفالينتيان الأول RIC 9, No. 2b.2



صورة رقم (٩)  
عملة لفالينتيان الأول RIC 9, No. 29a



صورة رقم (١٠)  
عملة لفالينس الأول RIC 9, No. 2c



صورة رقم (١١)  
عملة لفالينس الأول RIC 9, No. 2d



صورة رقم (١٢)  
عملة لفالينس الأول RIC 9, No. 26



صورة رقم (١٣)  
عملة لفالينس الأول RIC 9, No. 37b

!Error



صورة رقم (١٤)  
عملة لبروكيبوس RIC 9, No. 17a



صورة رقم (١٥)  
عملة لبروكيبوس RIC 9, No. 17b



صورة رقم (١٦)  
عملة لجراتيان



صورة رقم (١٧)  
عملة لفالينتيان الثاني



صورة رقم (١٨)  
عملة لثيودوسيوس الأول



صورة رقم (١٩)  
عملة لثيودوسيوس الأول RIC 9, No. 88a



صورة رقم (٢٠)  
عملة لثيودوسيوس الأول RIC 9, No. 68b



صورة رقم (٢١)  
عملة لثيودوسيوس الأول RIC 9, No. 70a



!Error

صورة رقم (٢٢)  
عملة لأركاديوس RIC 10, No. 34 x



صورة رقم (٢٣)  
عملة لأركاديوس RIC 10, No. 83c



صورة رقم (٢٤)  
عملة لأركاديوس RIC 10, No. 132



صورة رقم (٢٥)  
عملة لهونوريوس RIC 10, No. 114



صورة رقم (٢٦)  
عملة لهونوريوس RIC 10, No. 38



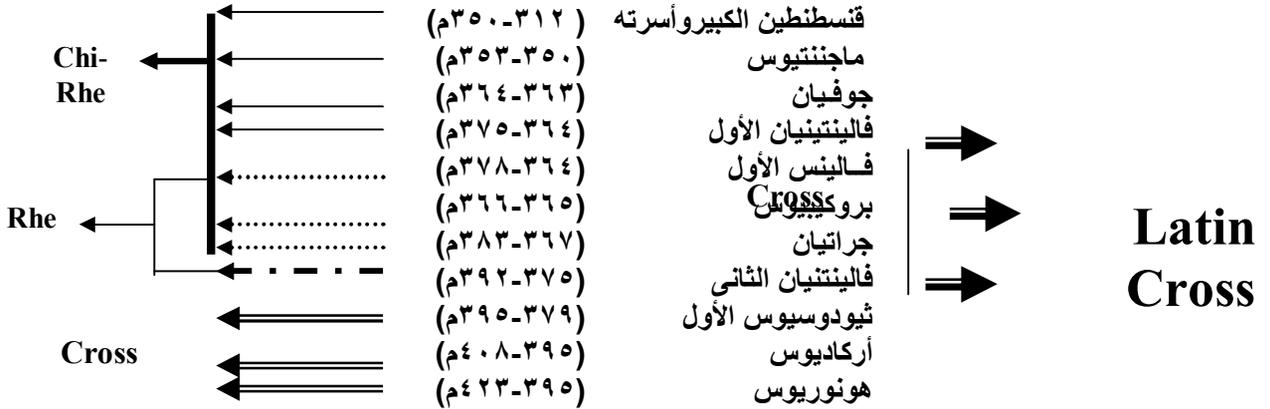
منظر تفصيلي يوضح شكل الصليب على صدر الإمبراطور



صورة رقم (٢٧)  
Museo Pio Cristiano (171/Inv. 31525), Vatican, Rome

مراحل تصوير الصليب على العملة في القرن الرابع الميلادي

\*\*\*\*\*



دليل:

ال Chi-Rho منفردا	←	(٣١٢-٣٧٥ م) أي ٧١ عاما
ال Chi-Rho مع Rho	←	(٣٦٤-٣٨٣ م) أي ٢٨ عاما
ال Rho منفردا	←	(٣٧٥-٣٩٣ م) أي ١٧ عاما
الصليب يظهر مع ال Chi-Rho ومشتقاته	←	(٣٦٤-٣٩٢ م) أي ٢٨ عاما
الصليب منفردا	←	(منذ عام ٣٩٠ م)